الطرُق العشرُ لنافع أو «العشرُ الصّغير» واعتناءُ المَغاربة بها

د. خليل قاضي، أستاذ محاضر، كلية العلوم الإسلامية، جامعة الجزائر

1 – دخولُ قراءةِ نافع إلى شمال إفريقيا

دأَبَ سكانُ شمالِ إفريقيا على الرِّحلة إلى البقاع المقدَّسة لأداءِ مناسكِ الحجِّ وعلى الرّحلات العلميّة طلبًا لِمَا عند المَشارِقة، فكان الرَّحَّالون المَغاربة إذا استوفَوْا نصيبَهم من العلم في بُلدان المشرِق قصدُوا مكّةَ والمدينة للحجِّ والزّيارةِ وحُضورِ حِلَق العِلم العامِرة فيهما.

وفي مدينةِ رسولِ الله ﷺ كان العلمُ كالحصَى عند جمرة العَقبة؛ فحِلَقُه يغصُّ بها المسجدُ النّبويّ، وكانتْ لنافع حلقةٌ للإقْراء لا تكادُ تُطاقُ القراءةُ عليهِ لكثرةِ الطّلَبة كما حدّثَ ورشٌ بذلك قائلًا: (خرجتُ من مصرَ لأقرأ على نافعٍ فلمّا وصلتُ إلى المدينة صِرتُ إلى مسجدِ نافع فإذا هوَ لا تُطاقُ القراءةُ عليه مِن كثرتهم وإنّما يُقرئُ ثلاثينَ، فجلستُ خلْفَ الحلْقةِ...)[1]، وكان لهذا العِلم المنشورِ بالمدينةِ قسْطٌ للمغاربة يعودُون به إلى بلادِهم.

وكُتُب التّراجم والتّواريخ التي بينَ أيدِينا تُمدُّنا بنُتَف عن هذه الطّلَائع الأُولى التي قدِمت مِن المدينة المنوّرة إلى المغرِب الإسلامي الكبير حاملةً معها فقهَ مالِك وقراءةَ نافع، فسُحنون بن سعيد التّنوخي (240هـ) رأسُ هذه الطّلَائع والفقيهُ الكبيرُ الذي وطّدَ دعائمَ المذهبِ المالِكيّ في المغرب؛ كانَ يأخذُ بمذهبِ أهلِ المدينةِ في كلِّ شيءٍ حتّى في العيْش[2].

(1) أعْلام القراءات العشْر وأصُولُهم – د. عبد القادر محمّد منصور، ص20، دار القلم العربي، حلب، سوريا، ط1، 2004م.

(2) ترتيبُ المَدارِك وتقريبُ المَسالِك لمعرفة أعْلام مذهب مالك، القاضي عياض، تحقيق: د. علي عمر، ط1، مكتبة الثّقافة الدّينيّة، القاهرة، 2008م. ج2/ ص14.

فَفي رسالةٍ أمْلاها على وَلَدِه وحرّرَها بقلمِه يقولُ له فيها: (وينبغي أن يُعلّمَهم إعرابَ القرآنِ وذلك لازمٌ له، والشّكلَ والهجاءَ والخطَّ الحسَن، والقراءةَ الحسنةَ والتّوقيفَ والتّرتيلَ... ويلزمُه أن يُعلّمَهم ما علِمَ من القراءةِ الحسَنةِ وهوَ مَقرأُ نافع)[1]، وهذا نصٌّ صريحٌ في إدْخالِ قراءةِ نافعٍ باكِرا إلى هذهِ الأصقاعِ المغربيّةِ، أيْ في نهاية القرنِ الثّاني وبدايةِ الثّالِث للهجرة، وقد أخطأَ مَن عدَّ ابنَ خَيْرون (306هـ) أوّلَ مَن قدِمَ بقراءةِ نافع إلى القيروان وإفريقية، فسُحنون متقدّمٌ على ابنِ خيرون؛ والنّصُّ الذي كتبَه بيدِهِ خيرُ دليلٍ على ذلك.

ولعِلْمِ المدينةِ موقعٌ جليلٌ في النّفوس عند القُدامى وعندَ المغاربة خاصّةً؛ فلبُعْدِهم عن البقاع المقدّسةِ وشوْقهم إلى التّقرُّب مِن وَرَثة العِلم النّبويّ؛ كانوا يأخُذون مِن المَنبع مباشرةً؛ ففي الفقهِ اعتمدُوا مذهبَ مالك بن أنس – إمامِ دارِ الهجرة – وفي القراءةِ مذهبَ نافع بن أبي رُؤيم – مُقرئ المدينةِ بلا مُنازع – بل مالكٌ نفسُه يُقدِّم المدينةَ وعِلْمَها على غيرِها من الأمْصار، ففي رسالةٍ بعثَ بها إلى اللّيثِ بن سعْد يقولُ: (فإنّما النّاسُ تَبَعٌ لأهلِ المدينة، إليها كانتْ الهجرةُ وبها نزلَ القرآنُ، وأحِلَّ الحلالُ وحُرّم الحرامُ، إذ رسولُ الله بين أظْهُرهم يحضرونَ الوحيَ والتّنزيل، ويأمرُهم فيُطيعونَ، ويسنُّ لهم فيتّبعونَه حتّى توفّاهُ الله واختارَ له ما عندَه صلواتُ اللهّ عليه ورحمتُه وبركاتُه.

ثمّ قامَ من بعدِه أتْبعُ النّاسِ له مِن أُمّته ممّن وَلِيَ الأمرَ من بعدِه فما نزلَ بهم ممّا علموا أنْفذوه، وما لم يكُن عندهم فيه علمٌ سألوا عنهُ، ثمّ أخذوا بأقْوى ما وجَدوا في ذلك...فإذا كان الأمرُ بالمدينةِ ظاهرًا معمُولا به لم أرَ لأحدٍ خلافَه للّذي في أيْديهم مِن تلكَ الوِراثة التي لا يجوزُ انتحالُها ولا ادِّعاؤُها)[2].

هذا رأيُ مالِك في عِلم المدينةِ وعُلمائها، أمّا رأيُه في نافعٍ وقراءتِه فيلخّصُه ابنُ الجزَري بقولِه: (قال سعيدُ بن منصور: سمعتُ مالكَ بنَ أنس يقولُ: قراءةُ أهلِ المدينةِ سُنَّة، قيل له: قراءة نافع؟ قال: نعَم، وقال عبدُ الله بن أحمد بن حنبل: سألتُ أَبي أيُّ القراءةِ أحَبُّ إليكَ؟ قال قراءةُ أهلِ

(1) رسالة آداب المُعلّمين، محمّد بن سُحنون الفقيه المالِكي، تحقيق: حسن حسني عبد الوهّاب، تونس: 1972، ص102.

(2) ترتيبُ المدارك، القاضي عياض، ج1/ ص41، 42.

المدينة، قلتُ: فإنْ لم يكُن؟ قال: قراءةُ عاصم)[1]. ومِن شهاداتِ هؤلاءِ الأعْلام تتّضحُ قيمةُ قراءةِ نافع ولماذا مالَ إليها المغاربةُ وأخَذوا بها والْتزَموها في مَقْرآتهم ومَدارسهم وكَتاتيبهم وزواياهُم وعَضُّوا عليها بالنّواجِذ إلى يومِ النّاسِ هذا.

وبعدَ سُحنون صاحبِ قصَب السّبْق في نشْرِ قراءةِ نافع بشمالِ إفريقيا؛ جاء ابنُ خَيْرون الذي أصَّل التّحقيقَ في الأَداء عن ورش وهُوَ ما وصفَه الإمامُ الدّاني (444هـ) بالأخْذ الشَّديد المَرْوي عن الأزرق[2].

وتلازَم الأخْذُ بمذهبِ مالكٍ في الفقه ومذهبِ نافع في القِراءة عندَ المَغاربة حتَّى إنّهم حرَصوا على المُحافظة على مذهبِ مالك الفقهي وهُم يُؤصِّلونَ لمذهبِهم في القِراءة كما أوْرَد ذلكَ الإمامُ علي بن عبد الغني الحُصْري القيْرواني (488 هـ) في قصيدتِه الرَّائيَّة في قراءة نافع بقولِه:

وإذا كنتَ في غيرِ الفريضةِ قارِئًـا فبسْمِل لقالونٍ لدَى السُّـوَرِ الزُّهْـرِ[3]

مدَى الدّهْر إلّا في ابْـتِدا بَـراءةٍ لِتنزيلِهـا بالسّـيْف مِـن مُرسِـل النُّـذْرِ

ويعلّق عليها شارحها ابن عظيمة الإشبيلي (543 هـ): (البسملة عند مالك وأصحابه ليست من القرآن، فلا تقرأ عنده في صلاة فريضة سرّا ولا جهرا إلّا في سورة النّمل وتقرأ في صلاة

(1) غاية النّهاية في طبقات القُرّاء، ابن الجزَري، عُني بنشرِها: ج. برجستراسر، دار الكتب العلميّة، بيروت، ط1، 2006م، ج2/ ص289، 290.

(2) ينظر: تاريخ القراءات في المَشرق والمغرب، د. محمّد المختار ولدابّاه، دار الكتب العلميّة، بيروت، طبقة الإيسيسكو، ط3، 2008م، ص179.

(3) لا يقصد النّاظِم بالسُّوَر الزُّهْر هنا السّورَ الزُّهر المعروفة (القيامة، المطفّفين، البلد، الهُمَزة) وإنّما يقصدُ سورَ القرآن كلِّه، ففي هذه السّوَر الأربعة عند القُرّاء خُصوصيّةٌ، بحيثُ يُفصَل بالبسملةِ بين المدّثّر والقيامة، وبين الانفطار والمطفّفين، وبين الفجر والبلد، وبين العصر والهمزة، لمن ورَدَ عنه السّكْتُ في غيرِهنّ، وهُم: ورشٌ وأبو عَمرٍو وابنُ عامر ويعقوب، والسّكْت لمن رُوي عنهم الوصلُ في غيرهنّ، وهُم: ورشٌ وأبو عَمرو وابنُ عامِر وحمزةُ ويعقوب. يُنظر: مُعجم علوم القرآن، إبراهيم محمّد الجرمي، دار القلم، دمشق، ط1، 2001م، ص44.

النّافلة، ويفصل بها قالون بين كلّ سورتين)[1].

وهكذا فبَوَاكيرُ الرّحلات العِلميّة إلى المدينة المنوّرة مِن أهْل المغرِب وحِرصهم على التّلقِّي مِن أفْواه هؤلاء الأعْلام الكِبار المدَنيّين والأخْذ بمذاهبِهم عزَّز قراءةَ نافع في شمالِ إفريقيا وجعَلَ لها الصّدارةَ بيْن القراءاتِ القرآنيّة؛ ونسخَتْ حتَّى القراءات التي كانتْ سائدةً من قبلُ فيها كقراءةِ حمزةَ بن حبيبٍ الزّيَّات إلى القراءةِ الغالِبة على أهْل المغرِب قبل قُدوم قراءةِ نافع[2].

2 – التّأليفُ في قِراءة نافع

يَرجع زمنُ التّـآليفِ في قراءةِ نافع إلى القُرون الأُولى لِشِدّة العنايةِ بهذه القراءةِ واحْتلالِها الصّدارةَ في الإقْراء والتّعْليم حتَّى أضْحَت القراءةَ الرّسْميّةَ المُعتمَدةَ في شمالِ إفريقيا بدونِ مُنازع[3] فقبْل أن يؤلِّفَ فيها المغاربةُ ألّفَ فيها تلاميذُ نافع وتلاميذُ تلاميذِه؛ ويمكنُنا أن نعُدَّ مِن التّآليف الأُولى فيها:

1 –قراءة ورش: لأبي يعقوب الأزرق (240هـ)[4].

2 – قراءة نافع: لأبي بكر موسى بن مجاهد البغدادي (ت 324هـ)[5].

3 – قراءة نافع: لأبي الحسن الأنطاكي (ت 377هـ)[6].

---

(1) ابن عظيمة الإشبيلي، مِنح الفريدة الحِمصية في شرْح القصيدة الحُصْرية، دراسة وتحقيق: توفيق العبقري، ط1، المغرب، منشورات وزارة الأوقاف والشّؤون الإسلاميّة، 2008م، ص252.

(2) ينظر: غاية النّهاية في طبقات القرّاء، ابن الجزَري، ج2/ ص191.

(3) ينظر: قراءة نافع عند المغاربة من رواية أبي سعيد ورش، مقوّماتُها البِنائيّة ومَدارسُها الأَدائيّة إلى نهايةِ القرْن العاشِر الهجري، الأستاذ عبد الهادي حميتو (أطروحتُه للدّكتوراه)، منشورات وزارة الأوقاف والشّؤون الإسلاميّة، المملكة المغربيّة، 2003م، ج1/ ص71.

(4) ينظر: الإقناع في القراءات السّبْع، أبو جعفر أحمد بن الباذش، تحقيق: عبد الحميد قطامش، جامعة أمّ القرى، دمشق، ط1 1403هـ، ج1/ ص396.

(5) المصدر نفسُه، ج1/ 184.

(6) المصدر نفسُه، الصّفحة نفسُها.

وبعْد هؤلاءِ تخصّصَ المغاربةُ في إفْراد قراءةِ نافع بالتّأليف وعلى رأْسِهم أبو عَمرو الدّاني (ت 444هـ) فألّفَ في قراءة نافع بكاملِه؛ وفي إفْراد رواية ورش؛ وفي بعْض الأبْواب القِرَائيّة والمَسائل الخِلافيّة في رواية ورشٍ اسْتقلالًا؛ وفي طُرُق نافع العشَرة، هذا، عدَا كُتُبه الجامِعة للقِراءات والتّجويد والمَسائل الخِلافيّة والأسَانيد والتّحْريرات، وبذلك أصبحتْ كُتُبُهُ العُمْدة في هذا الفنِّ حتَّى عندَ المَشارِقة لِغَزارةِ مادّتِه وطُول نفَسِه في التّتبُّع والاسْتقصاء، حتّى غدَا اسمُهُ مرتبطًا بالقِراءات مثلَ ما ارتبطَ اسمُ سيبويه بالنّحْو والبُخاري بالحديث[1].

ويشهدُ لهذا ابنُ الجزَري وهُوَ مَن هُوَ في القراءاتِ فيقولُ: (قال بعضُ الشّيُوخ: لم يكُن في عصرِه ولا بعدَ عصرِه بمُدَد أحدٌ يُضاهيهِ في حِفظِه وتحقيقِه وكان يقولُ: ما رأيتُ شيئًا إلا كتبتُه وما كتبتُه إلّا حفظتُه ولا حفظتُه فنَسِيتُه، وكان يُسأَل عن المَسألة ممَّا يتعلّقُ بالآثارِ وكلامِ السّلَف فيُوردُها بجميعِ ما فيها مُسنَدةً مِن شيوخِه إلى قائلِها، قلتُ [أي ابن الجزري]: ومَن نظرَ كُتبَه علِمَ مقدارَ الرّجُل وما وَهبَه اللهُ تعالى فيه؛ فسُبحانَ الفتّاح العَليم ولا سيَّما كتاب جامِع البيان فيما رواهُ في القراءاتِ السّبع...)[2]، وناهيكَ بشهادَة ابنِ الجزَري.

وممّنْ أفْردَ روايةَ ورش في القُرون الأُولى نجِدُ:

1 -الإبانة في قراءة ورش: للأذْفوي (ت 388هـ).

2 - الإرشاد إلى معالِم أصول قراءة نافع من رواية ورش من طريق الأزرق: لأبي الرّبيع سليمان الفهمي (ت 446هـ).

3 - إرشاد المتمسِّكين في قراءة ورش: لأبي عمروالدّاني (ت444 هـ).

4 - إيجازُ البيان في قراءة ورش: لأبي عمرو الدّاني.

5 - التّلخيص في قراءة ورش: للدّاني.

6 - المُفردات فيما انفردَ به نافعٌ في رواية ورش: لابن غلبون (ت 389 هـ)[3].

(1) ينظر: تاريخ القراءات في المشرِق والمغرِب، محمّد المختار ولد ابّاه، ص253.

(2) غاية النّهاية في طبقات القرّاء، ابن الجزَري، ج1/ ص448.

(3) مِنح الفريدة الحِمصية في شرح القصيدة الحُصْرية، ابن عظيمة الإشبيلي، ص21.

*** وممّن ألّف في قراءة نافع بكامِله:**

1 – التّمهيد في قراءة نافع: لأبي عَمرو الدّاني (ت 444 هـ).

2 – التّنبيه في قراءة نافع: لمكّي بن أبي طالب القيْسي (ت 437 هـ).

3 – مؤلَّف في قراءة نافع: لأبي عمر الطّلمنكي (ت 429 هـ).

4 – مؤلَّف في قراءة نافع: لأحمد بن صالح.

6 – مجموعٌ نبيل في قراءة نافع: لعبد الله بن الحسَن الأنصاري[1].

*** وممّن ألّف في بعض الأبواب القرائيّة والمسائل الخلافيّة في رواية ورش استقلالا**

1 – الإبانة في الرّاءات واللّامات لورش: لأبي عَمرو الدّاني.

2 – الانتصاف مِن الدّاني في ردِّه ترقيقَ راءِ مرْيم: لأبي الحسَن شريح[2].

*** وممّن اقتصرَ من قراءة نافع على روايتَيْ ورش وقالون**

1 – البيان ممّا لا يسَع جهله قرّاء القرآن برواية ورش وقالون عن نافع بن عبد الرّحمن: للخطيب أبي القاسم بن محمّد بن الطّيلسان.

2 – الاختلاف بين ورش وقالون: لأبي الطّيّب بن غلبون.

3 – التّقريب والحرْش في روايتَيْ قالون وورش: لأبي الأصبغ عيسى بن فتّوح بن المرابط الهاشمي[3].

*** وممّن ألّفَ في طُرُق نافع العشَرَة نجِدُ:**

1 – التّعريف في اختلاف الرُّوَاة عن نافع: لأبي عَمرو الدّاني (ت 444 هـ)[4].

2 – تفصيلُ عِقد الدُّرَر في طُرُق نافع العشْر: لأبي عبد اللهّ محمّد بن أحمد بن غازي المكناسي

(1) المصدر نفسُه ص 21.

(2) المصدر نفسُه، ص 22.

(3) المصدر نفسُه، ص22.

(4) وقد طُبع طبعةً أنيقةً بتحقيق: الاستاذ فرغلي سيّد عرباوي؛ ونشرَتْه دارُ مكتبةِ أولاد الشّيخ للتّراث، الجيزة، ط1، 2008م.

(ت 919 هـ).

3- بذلُ العِلم والوُدِّ في شرْح تفصيل العِقد: لأبي زيد عبد الرّحمن بن محمّد القصري المعروف بالخبّاز (ت 964 هـ).

4- كفاية التّحْصيل في شرح التّفصيل: لأبي الفضل مسعود بن محمّد بن جَمـوُّع السّجلماسي (ت 1119 هـ).

5- أنوارُ التّعريف لذَوي التّفصيل والتّعريف: لأبي عبد الله محمّد بن أحمد الجَزولي (ت في القرن 10 – 11 هـ).

6- معونة الذِّكر في الطُّرُق العشْر: لأبي الفضل مسعود بن محمّد بن جموع السّجلماسي (ت 1119 هـ) وفيه بيانٌ لكيفيّة الجمْع بهذه الطُّرُق[1].

7- تقريب المنافع في الطُّرُق العشَرة لنافع: لأبي عبد الله محمّد بن أبي جُمعة شقرون الوهراني (ت 929 هـ)[2].

8- التّبصِرة في طُرُق نافع العشَرة: لأبي القاسم البوجْليلي الزوَاوي (ت 1316 هـ)[3] وهكذا فالاهتمامُ الكبيرُ للمغاربة بقراءةِ نافع جعلَهم يتمسَّكون بها قراءةً وتعليمًا وتأليفًا – نظْما ونثرًا – لا يعْدُونَها إلى غيرِها، ولم يُؤثَر عن القرّاء الآخَرين من السّبْعة والعشَرة هذا التّعدُّد في الطُّرُق السّاري تدريسُه كما كانَ لنافع، فطرُقه العشَرة كان لها الشُّيوع في مَقرآت المغارِبة عامّةً، وكانوا يَبتدئون بها قبلَ أن يَشرَعوا في منظومَة ابن برِّي ـ وهي في قراءةِ نافع ـ وفي الشّاطبيّة ـ وهي في القراءات السّبْع ـ ولا تزالُ أسانيدُ العشْر الصّغير لنافع متوارَثَةً عند المغارِبة وفي الجزائر ـ رغم سياسةِ الاستعمار الفرنسي التّجْهيليّة – وفي منطقةِ ازواوةَ على الأخصّ؛ كما نجدُ سندَها متّصلاً عند الشّيخ الطّاهر

(1) ينظر: الجمعُ بالقراءات المُتواترة، د. فتحي العبيدي، دار ابن حزم، بيروت، ط1، 2006م، ص 317، 318.

(2) قراءة نافع عند المَغاربة، عبد الهادي حميتو، ج3/ ص 387 – 398.

(3) وهو الكتابُ المعتَمدُ في ازواوةَ في القرُون الأخيرةِ في الكتاتيبِ والزّوايا والمَقْرآت، فإذا ذُكرت القراءاتُ العشرُ انصرفَ المعنى إلى العشْرِ الصّغيرِ لنافع، وقد قامَ بتحقيقِ هذا المخطوط «حسين واعليلي» بإشراف «الأستاذ الدّكتور مصطفى أكرور» ونوقِشت الرّسالةُ في كُلّية العلوم الإسلاميّة، جامعة الجزائر 1.

آيتْ علْجَت[1] – حفظهُ الله – الذي يحتفظُ بسندِها وقد أقرأَ بها زمانًا طلبتَه ومريدِيه.

3 – طُرُق نافع العشَرة

اختلفتْ الرّواياتُ الأَدائيّة وحُروف القراءة عن نافع لأنّهُ قارئُ المدينةِ والمدينةُ هي ملتقَى الوافِدين للزّيارَة بعدَ أداءِ مناسكِ الحجّ، فكان نافعٌ يتعاملُ مع هذه الكثرَة التي تغصُّ بها حلقتُه بتقبُّل لهجاتِهم ورواياتِهم التي لا تُصادِم النّقلَ الصّحيحَ ولا تُجافي اللّغةَ العربيّةَ الفُصْحى المطلوبَة في القِراءة فلا يتعصّبُ لاختيارِه[2] بل هو يتبعُ ما درَج عليه الأئمّةُ من قبلِه في التّسامُح مع بعضِ اللّهجات فيما يتعلّقُ بالهمْز والتّخفيفِ والفتْح والإِمالة والإظْهار والإدْغام وغيرِها والتي لا يقْوَى القارئُ ولا يطوعُ لسانُه على أدائِها[3].

ويظهرُ هذا جليًّا في أقرَب النّاسِ إليه وأكثرِهم تحمُّلًا عنهُ، تلميذاهُ ورشٌ وقالون، فكِلاهُما قرأَ عليه وأتقنَ الأداءَ والتّحمُّل، فقالونٌ رَبِيبُه وأخصُّ النّاسِ به؛ وورشٌ أشْهرُ من تلقَّى عنهُ، وقد (اختلفَا في أكثر مِن ثلاثةِ آلافِ حرفٍ من قطْع وهمْز وتخفيفٍ وإدغام وشبهِه، ولم يُوافق أحدٌ من الرّوَاة عن نافع روايةَ ورش وقالون، ولا نقلَها أحدٌ عن نافع غير ورش، وإنّما ذلكَ لأنَّ ورشًا قرأ عليه بما تعلَّم في بلدِه، فوافقَ ذلك روايةً قرأها نافعٌ عن بعض أئمّتِه فتركَه على ذلك، وكذلك ما قرأ عليه قالونٌ وغيره.

وكذلك الجوابُ عن اختلافِ الرّواةِ عن جميع القُرّاء وقد رُوي عن غير نافع أنّه كان لا يردُّ

---

(1) الشّيخُ الطّاهر آيت عَلْجت البِجائي – حفظه الله – نزيلُ العاصمة المولودُ سنة 1917م هو المُقرئ الوحيدُ الذي يَحملُ سندًا مُتّصلا في الطّرُق العَشْر لنافع، وقد أُجيزَ بالطّرُق العشْر النّافِعيّة سنةَ 1931م بزاوية جدِّهِ الشّيخ سيدي يحيى العِيدْلي على شيخِه السّعيد اليَجْري عن الشريف تومْليلين وهوَ على شيخِه أبي القاسم البوجْليلي صاحب كتاب «التّبصرة» الذي يذكرُ فيه سنَدَه إلى ﷺ.

ينظر: دليلُ الطّالِبين إلى معرفةِ القُرّاء الجزائريّين المُجازِين، سالم بوحامدي، دار الإمام مالك، الجزائر، ط1، 2013م، ج2/ ص 37.

(2) ينظر: قراءة نافع عند المغاربة، د. عبد الهادي حميتو، ج1/ 333.

(3) ينظر: المرجع نفسُه، ج1/ ص334.

على أحَد ممّنْ يقرأُ عليه إذا وافقَ ما قرأ به عل بعضِ أئمّتِه، فإنْ قيلَ له: أقرِئْنا بما اخترتَه من روايتِكَ، أقرأَ بذلك)[1].

وعلى هذا سارَ القرّاءُ مع العارِضينَ عليهِم فكان أنْ حُفظَت لنا اللّهجاتُ العربيّةُ الفصيحةُ وبلغت كثرة اختلافاتِها في العرْض والأداء عن نافع وحدَه حدودَ مائتينِ وخمسينَ طريقًا[2] أشهرُها عشَرة وهي التي أثْبتَها أبو عَمرو الدّاني (ت 444 هـ) في كتابِه «التّعريف في اختلاف الرّواةِ عن نافع» وتابَعَه على ذلك ابن غازي (ت 919هـ) في منظومتِه الشّهيرة: «تفصيلُ عِقد الدُّرَر في طُرُق نافع العشْر» وهذان المتْنان هما مُعتمَد المغاربة في طرُق نافع العشَرة ولكلٍّ منهُما عشراتُ الشّروح والتّعليقات والإضافات مِن المؤلّفين والمُقْرئين المَغاربة، جمعَها الدّكتور «عبد الهادي حميتو» في موسوعتِه «قراءةُ نافع عندَ المغاربة»، ولا يسعُنا المقامُ في هذا البحثِ حتّى لذِكْر أسمائِها فقط بَلْهَ التّفصيلِ في كلٍّ منها.

بيّنَ الإمامُ الدّاني كيفيّةَ اختيارِه لهؤلاءِ العشَرة بقولِه (هذا كتابٌ أذكُر فيه ـ إن شاءَ الله ـ الاختلاف بين أصحابِ أبي عبد الرّحمن نافع بن عبد الرّحمن بن أبي نعيم المُقرئ المَدنيرحمه الله الذين أخَذوا القراءةَ عنهُ تلاوةً وأدّوْها إلى النّاس حكايةً).

وهم أربعةٌ: إسماعيل بن جعفر بن كثير الأنصاري، وإسحاق بن محمّد المسيِّبي، وعيسى بن مينا قالون؛ المدنيون، وعثمان بن سعيد ورش المُقرئ، وأذكر عن كلّ واحد منهم روايتيْن، إلا عن ورش وقالون فإنّي أذكُر عنهما ثلاث روايات، فيشمَل الكتاب على عشْر روايات عنهم عن نافع)[3].

وهذه الطّرُق العشَرة يختلف ترتيبُها عند الدّاني وابن غازي، **فالدّاني يرتّبُها كالتّالي:**

1 –طريق أبي الزّعراء عبد الرّحمن بن عبدوس البغدادي (ت 280م هـ) روايةً عن إسماعيل

(1) الإبانةُ عن مَعاني القراءات، مكّي بن أبي طالب القيْسي، تحقيق: د. محي الدّين رمضان، دار الغوثاني للدّراسات القرآنيّة، دمشق، ط1، 2006م، ص 48.

(2) ينظر: الجمْع بالقراءات المتواترة، فتحي العبيدي، ط1، بيروت دار ابن حزم، 2006م، ص 316.

(3) مُفردات القُرّاء السّبْعة، أبو عَمرو الدّاني، ص17– 19..

بن جعفر عن الدُّوري عن نافع.

2- طريق أبي جعفر أحمد بن فرح البغدادي المفسِّر (ت 303 هـ) روايةً عن إسماعيل بن جعفر عن الدُّوري عن نافع.

3- طريق أبي عبد اللهّ محمّد بن إسحاق المسيِّبي المدني (ت 236 هـ) روايةً عن أبيه إسحاق المسيّبي عن نافع.

4- طريق أبي جعفر محمّد بن سعدان الكوفي (231 هـ) روايةً عن إسحاق المسيّبي عن نافع.

5- طريق أبي نشيط محمّد بن هارون الرّبْعي المروزي البغدادي (ت 258 هـ) روايةً عن قالون عن نافع.

6- طريق أبي الحسن أحمد بن يزيد الحلواني (ت 260 هـ) روايةً عن قالون عن نافع.

7- طريق القاضي أبي إسحاق إسماعيل بن إسحاق الأزدي البغدادي (ت 282 هـ) روايةً عن قالون عن نافع.

8- طريق أبي يعقوب يوسف بن عَمرو الأزرق المدني ثمّ المصري (ت 240 هـ) روايةً عن ورش عن نافع.

9- طريق أبي الأزهر عبد الصّمد بن عبد الرّحمن العُتَقي المصري (ت 231 هـ) روايةً عن ورش عن نافع.

10- طريق أبي بكر محمّد بن عبد الرّحيم الأسدي الأصبهاني (ت 296 هـ) روايةً عن أصحاب ورش عن نافع[1].

أمّا ابن غازي فيرتّبُها على التّالي:

1- طريق أبي يعقوب يوسف بن عَمرو الأزرق المدني ثمّ المصري (ت 240 هـ) روايةً عن ورش عن نافع.

2- طريق أبي الأزهر عبد الصّمد بن عبد الرّحمن العُتَقي المصري (ت 231 هـ) روايةً عن

(1) ينظر: المصدر نفسُه، ص 19 ـ 22.

ورش عن نافع.

3- طريق أبي بكر محمّد بن عبد الرّحيم الأسدي الأصبهاني (ت 296 هـ) روايةً عن أصحاب ورش عن نافع.

4- طريق أبي نشيط محمّد بن هارون الرّبْعي المروزي البغدادي (ت 258 هـ) روايةً عن قالون عن نافع.

5- طريق أبي الحسن أحمد بن يزيد الحلواني (ت 260 هـ) روايةً عن قالون عن نافع.

6- طريق القاضي أبي إسحاق إسماعيل بن إسحاق الأزدي البغدادي (ت 282 هـ) روايةً عن قالون عن نافع.

7- طريق أبي عبد اللهّ محمّد بن إسحاق المسيِّبي المدني (ت 236 هـ) روايةً عن أبيه إسحاق المسيّبي عن نافع.

8- طريق أبي جعفر محمّد بن سعدان الكوفي (231 هـ) روايةً عن إسحاق المسيّبي عن نافع.

9- طريق أبي جعفر أحمد بن فرح البغدادي المفسِّر (ت 303 هـ) روايةً عن إسماعيل بن جعفر عن الدُّوري عن نافع.

10- طريق أبي الزّعراء عبد الرّحمن بن عبدوس البغدادي (ت 280م هـ) روايةً عن إسماعيل بن جعفر عن الدُّوري عن نافع.[1]

وهذا تسهيلًا لعمليّة الجمْع بين هذه الطّرُق في الأَداء على هذا التّرتيبِ المذْكور استحبابًا ومَن وافقَ منهُم غيرَه اندرَج معهُ ومَن لم يوافِق يأتي بِه[2].

4 – نماذجُ مِن الأداء بطرُق نافع العشَرة

1-التّسْمِية:

ورشٌ من طريق أبي يعقوب عنهُ لا يَفصل بين كلّ سورتيْن بـ «بِسم الله الرّحمن الرّحيم» في

(1) الجمْع بالقراءات المتواترة، فتحي العبيدي، ص 316 – 317.

(2) المرجع نفسُه، الصفحة نفسُها.

جميع القرآن إلا في أوّل الفاتحة فإنّه لا خلافَ بين القُرّاء في التّسْمية في أوّلِها.

وقرأ الدّانيُّ على ابن خاقانَ في مذهبِه بالتّسْمية بين أرْبع سوَر بين المُدّثّر والقيامة، وبين الانفطار والمطفّفين، وبين الفجر والبلد، وبين العصر والهمزة.

وقرأ الباقونَ وورشٌ عن رواية عبد الصّمد والأصبهاني بالتّسْمية في جميع القرآنِ إلا بينَ الأنفال وبراءة، فإنّه لا خلافَ في ترْك التّسْمية بينهما وكلُّهم يستفتحُ بالتّعوُّذ، والمُختارُ من لفظِه: «أعوذُ بالله من الشّيطان الرّجيم» وبذلكَ قرأَ الدّاني.

2 – ضمُّ ميمِ الجمْع وإسكانُها

إسماعيل والمسيّبي وقالون يخيّرون بين ضمِّ ميم الجمْع وبين إسْكانِها في جميع القرآن، واختارَ الإمام الدّاني الضّمَّ ولم يمنَعْ من الإسْكانِ لأنّ ابنَ مجاهد كان يأخذُ به في مذهبِهم؛ وبهِ قرأَ الدّاني في رواية أبي الزّعراء، وبه أيضًا قرأَ على ابنِ غلبون في رواية أبي نَشيط عن قالون.

وقرأَ الدّاني في رواية أبي عوْن عن الحُلواني عن قالون بضمِّ الميم عند الهمزة وعند الميم وعند آخِر الفواصل إذا لم يَحُل بينَها وبينهُنّ حائل، وسَكّنَها فيما عدا هذه الثّلاثةِ المواضِع، فعند الهمزة نحوَ قولِه تعالى: «عَلَيْهِمْ أَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُم» وشبهِه، وعندَ الميم نحوَ قوله: «وَلَا هُمْ مِنَّا» و«مِن وَرَائِهِم مُحِيط» وشبهِه، وعندَ الفواصِل نحوَ قولِه: «إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ» و «بِرَبِّكُمْ فَاسْمَعُون» وشبهِه[1].

5 – نموذَجٌ من الجمْع بطرُق نافع العشَرة

يورِد ابن جمُّوع السِّجلماسي (ت 1119 هـ) طريقةَ الجمْع بين طرُق نافع العشَرة نقتصِرُ على نموذج الوصْل بين سورتيْ الفاتحة والبقرة، فيقولُ (إرْدافُ « وَلَا الضَّآلِّينَ بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ألـمٓ» أن تأتيَ بوجْهَيْ الأزرق السّكْت ثمّ الوصْل، ثمّ تبسمِلَ للعُتَقي ثمّ بالأصبهاني مِن «وَلَا الضّآلِّين» ويندرجُ معهُ أهلُ الصُّغرى ثمّ بالمَروزي ثمّ بأهْل الضَّمّ»)[2]، ويقصِد بأهْل الصُّغرى

(1) ينظر: تاريخُ القراءات في المشرِق والمغرِب، د. محمّد المختار ولد ابّاه، ص 270 ـ 271.

(2) معونة الذِّكر في الطّرُق العشْر، ابن جمُّوع السِّجلماسي، مخطوطٌ بدار الكتب الوطنيّة بتونس، رقم 13259، 2ب، 3أ، 5ب، نقلًا عن: الجمْع بالقراءات المتواترة، فتحي العبيدي، ص 317..

الباقون من الطّرُق العشر، وبالمروزي أبا نَشيط عن قالون، وبأهل الضَّمّ أبا جعفر بن فرح المُفسِّر وأبا عبد الله محمّد بن إسحق المسيّبي [1].

والجمْع بالطّرُق العشَرة ليس فيه كبيرُ اختلاف كالذي بين القراءات السّبْع أو القراءات العشْر الصُّغرى (الشّاطبيّة والدُّرّة) أو القراءات العشْر الكُبرى (طيِّبة النّشْر)، لذلك لا يَشترطُ القرّاءُ ختمةً كامِلةً لكلِّ طريقٍ وهذا تيسيرًا على الطّلَبة وأخْذًا بيَد المتعلِّمين[2].

هذا؛ مع الاعتناءِ بالمُقدَّم أداءً في الأوجُه عند الجمْع كما عند ابن الجزَري، وكما فعَل المارِغْني (ت 1399 هـ) في ذيْل كتابِه «النّجُوم الطّوالِع» مُستدرِكًا على صاحبِ «غيْث النّفْع» وعلى «ابن يالوشة» في رسالتِه، بحيث جمَع الكلماتِ التي أغْفلوها ونصَّ على المُقدَّم أداءً من أوجُه الخلاف.

(1) المرجع نفسُه، الصّفحة نفسُها.

(2) المرجع نفسُه، ص 319.

خاتمة

وهكذا صرَفَ المغاربةُ أعمارَهم واستفرَغوا وُسْعَهم في التّأصيل لقراءةٍ نافع وتدريسِها والتّأليفِ فيها وتتبُّع دقائقِها والالْتزام بها في مدارسِهم كلّها وإصْدار المَراسيم لالْتزامِها قديمًا، وفي العصْر الحديث نشهدُ حركةً ثقافيّةً تتّجهُ الوِجهةَ الصّحيحةَ في تلمُّس الهُويّة والأصَالة الحضاريّة وهذا بالرُّجوع إلى التُّراث النّفيسِ والبحْث فيه وفهمِه والاستفادةِ منهُ، والتّراثُ القِرائيُّ جزءٌ من التّراثِ العلمي والحضاريِّ لهذه الأُمّة آلَ إلينا من أسْلافنا ولا بدَّ أن نُؤدّيَه لمنْ بعدَنا كما تلقّيْناه خالِصا سائغا، وقراءةُ نافع هي قراءةُ هذا القُطر الجزائري والمَغرب الإسلامي عُموما، تأصّلتْ في رُبوعه حتّى غدَتْ جزءًا من مُكوّناتِه العِلميّة والحضاريّة، والطّرُق العشْر له كانت منذُ عهد الحافظ أبي عَمرو الدّاني، أي من القرْن الرّابع الهجري يُقرأُ بها إلى الآن؛ وهي مرحلةٌ طويلةٌ عريقةٌ تتجاوزُ الألفَ سنة، ولا زال الكثيرُ حتّى من المُتخصِّصين يجهلونَ حيثيّاتِها، وهذا البحثُ الموجَز سيكونُ شعاعَ ضوءٍ يكشِف هذا الكنزَ المخبوءَ يهدِي الباحثينَ للتّفتيشِ أكثرَ عن تاريخِ هذه الطّرُق العشْر في الجزائرِ خاصّةً وفي المغرب الإسلامي عامّة.